الى الكبر فاجاب عنه بقوله اما الحية فهي اسم الجنس ثم انها لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها
وسرعة حركتها فصح الكلامان ويحتمل انه شبهها الشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار
السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا والمراد بقوله ثعبان مبين انه
يبين للناظرين انه ثعبان بحركاته وبساير ما فيه من العلامات وليس شيئا مزورا يشبه الثعبان كما
اظهره السحرة قوله والترجي باعتبار الغلبة اي وترجي الاتباع باعتبار الغلبة فلم لو انا نرجوان
يكون الغلبة لهم فنتبعهم الا انهم علقوا الترجي باتباع السحرة عدولا الى طريق الكناية التي هي ابلغ
قوله ولم يرد به امرهم بالسحر جواب عما يقال كيف جاز لموسى ان يامر السحرة بالقاء الحبال والعصي
فانه سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز قوله قرا حفص تلقف بالتخفيف اي باسكان اللام مخففا
والباقون بفتح اللام مشددا والتلقف تناول الشيء بسرعة والافك بالكسر الكذب وبالفتح مصدر
افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله اجئتنا لتافكنا عما وجدنا عليه اباءنا
جعل المصنف كلمة ما في ما يافكون موصولة بحذف العايد ثم جوز كونها مصدرية والافك بمعنى
المصدر لما لم يصح ان يتعلق به التلقف سواء جعل بمعنى الاخذ او الابتلاع جعل الافك بمعنى
المافوك وسمى الحبال بالافك مبالغة كانها عين الافك كما في قولهم هذا ضرب الامير اي مضروبه قوله
وتزوير اي تحسين يقال زورت الكلام والكتاب اذا حسنته ووجه الدلالة على ان منتهى السحر
تمويه وتزوير ان حقيقة الشيء لو انقلبت الى حقيقة شيء آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العصى حية من قبيل
المعجزة الخارجة عن حد السحر ولما خروا ساجدين عند مشاهدته ووجه دلالته على ان التبحر في كل فن
نافع ان السحرة لو لم يكونوا في الطبقة العالية من علم السحر ولم يكونوا عالمين ان منتهى السحر انما
هو التمويه والتزوير لما تيقنوا ان ما جاء به موسى ليس بسحر وما كان ذلك التيقن الا ببركة تبحرهم في علم
السحر قوله وانما بدل الخرور بالالقاء يعني ان المعنى خروا وسقطوا ساجدين لكن عدل الى القوا
للمشاكلة لقوله القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم فالقى موسى عصاه وليدل على انهم لم يتمالكوا
انفسهم حين ما شهدوا امرا خارجا عن حد السحر فخروا بدون الاختيار كان ملقيا القاهم والقاهم
على وجوههم فقوله فالقي السحرة استعارة تبعية قوله بدل من القي ولذلك لم يتخلل بينهما عاطف
قوله ابدال للتوضيح ودفع التوهم فان من قال لئن اتخذت الها غيري وتعجب من نسبة الربوبية

الى غيره

الى غيره فقال الا تستمعون لا يبعد ان يتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم آمنا برب العالمين الايمان
بربوبية اللعين فابدلوا منه قولهم رب موسى وهرون ليندفع ذلك التوهم وليشعر اضافته اليهما
ان الموجب لايمانهم به ما شاهدوا من اثر قدرته الباهرة وهو ما اجراه على ايديهما فلما سمع اللعين انهم
باجمعهم آمنوا بالله وصرفوا وجوههم عنه خاف ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم و
بصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى عم فيؤمنوا به كالسحرة فبادر الى ان يلبس
على قومه وينفرهم عن موسى واتباعه فقال اولا للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اراد به وصفهم
بسرعة الاغترار وسوء التدبير والسفاهة ثم قال انه لكبيركم الذي علمكم السحر صرح به ما ذكره اولا
بطريق الرمز كانه قال ان استاذكم هذا لم يعلمكم بعض اسرار صنعته ليغلب به عليكم وقت
الحاجة فاغتررتم وظننتم انه عليكم بالمعجز الالهي وليس كذلك فانه انما غلب عليكم بقوة علم
العلم لكنكم لم تحيطوا بما احاط به علما ويحتمل ان يكون مراده وصفهم بالخيانة على سلطانهم
بعصيانه وتنفير رعيته عنه كانه قال لم تهتموا في اظهار صنعتكم والغلبة على خصمكم عن مواطئة
بينكم وبينه ليظهر امره ويتم مقصوده والا فكيف عجزتم عن ان تفعلوا مثل ما فعله ساحر
مثلكم ثم اوعدهم على الاجمال والابهام فقال ولسوف تعلمون ثم بين ذلك المجمل وفصل
ذلك المبهم فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من اجل خلاف ظهر منكم على ان كلمة
من للتعليل كما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا وتفسير قطع اليد والرجل من خلاف بقطع
يد اليمنى والرجل اليسرى كما في الحدود لا يناسب حال فرعون ولما هو بصدده لانه تخفيف للعقوبة
واحتراز عن تفويت معنى البطش والمشي على الجاني ومن لم يخطر بباله هذا التاويل قال قوله هذا
دليل على حمقه حيث اوعدهم في موضع التغليظ بما وضع للتخفيف وليس في الآية ما يدل
على انه فعل بهم ذلك او لم يفعل والله اعلم بذلك قوله لا ضير علينا في ذلك تقدير للخبر المحذوف
وليس مرادهم ان ما اوعدهم به ان وقع لا يضرهم اصلا بل المراد ان ذلك ليس بضرر بل فيه نفع
عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤديا الى تكفير الخطيئات ورفع الدرجات او من حيث انه من
جملة اسباب الانقلاب الى ربنا وانه انفعها وارفعها فمعنى الاستيناف على هذا ان عدم وقوع ما توعدتنا
به لا ينجينا عن الموت حتى يكون وقوعه ضررا مؤديا اليه فان الانقلاب الى الموت الذي لا حاكم على

Copyright © King Saud University